الواقعية في العلاقات الدولية (الواقعيه الهجومية) دراسة حالة الحرب الروسية- الاوكرانية

أ.م.د. راجي يوسف محمود

جامعة كركوك - كلية القانون والعلوم السياسية

Realism in international relations (offensive realism) A case study of the Russian-Ukrainian war

Dr. Raji yousif mahmood
Kirkuk University - College of Law and Political Science

مستخلص: التقارب الاوكراني مع كل من حلف الناتو والولايات المتحدة دفع روسيا للتدخل عسكرياً وشنها الحرب للسيطرة عليها، وكانت تطمح من خلالها ايضا اعادة اوكرانيا الى نطاق سياستها تجاه حلف الناتو وامريكا والتي تعتبرها السبب في تفكك الاتحاد السوفيتي وهيمنتها، كذلك كون اوكرانيا احدى الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق. وجاء الرد الروسي هذا وحسب النظرية الواقعية التي عملت من اجل مصلحتها الوطنية للدفاع عن حدودها الغربية ومحاولة ابعاد حلف الناتو الذي يعمل من اجل ان تكون اوكرانيا احد اعضاءه، وبما أن المدرسة الواقعية بتطوراتها المتعاقبة خلصت إلى دور وتأثير كل من المحددات والعوامل الخارجية (النسقية) إلى جانب المحددات الداخلية للدولة (إدراكات صناع القرار وغيرها من العوامل)، في التأثيرات على السياسات الخارجية للدول وبالتالي على العلاقات فيما بينها، وبما أن الطابع الصراعي (التنافسي) أو عدم التعاوني هو الطابع الغالب على طبيعة العلاقات الروسية – الاوكرانية في مضمونها العام، والتي ادت في نهايتها الى الصدام ووقوع هذه الحرب. **الكلمات المفتاحية:** النظرية الواقعية، المصلحة الوطنية، الصراع، حلف الناتو، الواقعية الهجومية.

Abstract: The Ukrainian rapprochement with both NATO and the United States prompted Russia to intervene militarily and launch a war to control it, through which it also aspired to return Ukraine to the scope of its policy towards NATO and America, which it considers the reason for the disintegration of the Soviet Union and its dominance, as well as the fact that Ukraine is one of the countries independent of the Soviet Union. the previous. This Russian response came in accordance with the realist theory that worked for its national interest to defend its western borders and try to distance NATO, which is working for Ukraine to be one of its members, and since the realist school with its successive developments concluded the role and influence of both determinants and external (systematic) factors on As well as the internal determinants of the state (perceptions of decision makers and other factors), influencing the foreign policies of states and thus on the relations between them, Since the conflictual (competitive) or non-cooperative nature is the dominant character in the nature of Russian-Ukrainian relations in their general content, which ultimately led to the clash and the outbreak of this war. **Kay word:** Realist theory, national interest, conflict, NATO, offensive realism.

المقدمة

أوكرانيا هي حجر الزاوية في الاتحاد السوفيتي السابق، العدو اللدود للولايات المتحدة خلال الحرب الباردة. وهي ثاني أكبر الجمهوريات السوفيتية الخمس عشرة بعد روسيا من حيث عدد السكان، وموطناً لكثير من الإنتاج الزراعي والصناعات الدفاعية والعسكرية في الاتحاد

السوفيتي السابق، بما في ذلك أسطول البحر الأسود وبعض الترسانة النووية. وقد مثل استقلالها عام ١٩٩١ في استفتاء شعبي ضربة للاتحاد الروسي، رغم اعتراف روسيا بها دون شروط. وبقيت أوكرانيا حيوية للغاية بالنسبة للاتحاد الروسي حتى بعد تفكك الاتحاد السوفيتي؛ وذلك لأسباب تتعدى مسألة العلاقات الثقافية والاجتماعية لتشمل الأبعاد الجيوسياسية والاستراتيجية وكذلك الاقتصادية. وبعد الاستقلال الذي حصلت عليه اوكرانيا، والتقارب مع دول حلف الناتو والاتحاد الاوروبي وكذلك الولايات المتحدة الامريكية، وهو ما دفع روسيا لتخوض هذه الحرب والغزو الذي حصل على الاراضي الاوكرانية، وذلك اذا ما وصل حلف الناتو ليجاور روسيا من جهة اوكرانيا وهو ما يعني انتهاء اخر خط دفاعي لروسيا عن حدودها الغربية، علماً أن الهدف من تأسيس حلف الناتو هو المواجهة لأي توسع للاتحاد السوفيتي السابق أو ثورات شيوعية، فضلا عن أن التحالف سعى لإقامة جبهة قوية في الداخل وتحقيق العيش الرغيد للدول الأعضاء في التحالف، وذلك بالإضافة إلى إقامة رابطة الدفاع الجماعية من اجل الحفاظ على الأمان والسلم في المنطقة، وهو ما دعا اوكرانيا للتقرب اليه ومحاولة الانضمام للحلف، هي وبعض دول الاتحاد السوفيتي السابق. وهو ما كانت تعتبره روسيا تهديداً حقيقيا لها. وهو ما يثبت الواقعية التي تحدث معظم منظريها عن ان المصلحة الوطنية هي قبل كل شيء لمعظم الدول وخاصة الدول العظمى او الكبرى، إذ لا يمكن لتلك الدول أن تتنازل عن مصلحتها القومية او الوطنية حتى لو خاضت حروب قد تستمر لسنوات ومهما كانت الخسائر البشرية والمادية. لذا جاءت هذه الدراسة لتبين كيف أن معظم الدول تعمل وفق واقعية حقيقية من أجل الحفاظ على امنها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

مشكلة الدراسة: تكمن الإشكالية في مدى إمكانية توسع الحرب الروسية الاوكرانية لتشمل مناطق اخرى من اوروبا الشرقية سابقا، وفي ظل الأحداث الحالية على الساحة العالمية، وكذلك في ظل العلاقات الروسية– الأوربية والامريكية، والتي وصلت إلى مرحلة متوترة للغاية في ظل أزمة الحرب الروسية على أوكرانيا؟

ومن إشكالية الدراسة نجد طرح العديد من الاسئلة ومنها:

١- كيف يمكن ان يكون العالم في ظل الحرب الروسية الأوكرانية في الوقت الحالي؟

٢- ما هي حجم المخاطر المحتملة من مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية واوروبا في الأزمة الحالية على الأمن في المنطقة؟

٣- هل يمثل توسع حلف الناتو مصدر تهديد سياسي وعسكري جديد للأمن القومي العالمي، وخاصة بعد تلقيه طلبات للانضمام اليه من دول كانت تعتبرها تحت المظلة الروسية؟

٤- ما مدى انقسام دول المحيط الاقليمي ما بين مؤيد للحرب الروسية ومشارك بها وبين داعم ومشارك اوكرانيا؟

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة في محاولة فهم الأسباب والدوافع الرئيسية للازمة الروسية الاوكرانية والحرب التي شنتها روسيا، فضلا عن معرفة أهداف الغزو الروسي لأوكرانيا في ظل الوضع الإقليمي والدولي الحالي والظروف المحيطة بها، وهو الأمر الذى أدى إلى ضرورة وضع بعض المزايا لتلك الدراسة والتي تجعل لها من الأهمية لتناولها بالدراسة ومنها:-

١ – محاولة التوصل إلى معرفة أهداف الحرب الروسية والتي شنتها على اوكرانيا.

٢ – معرفة التغيرات والتي صاحبت بداية الحرب وكيف تغير الوضع الاقليمي والدولي وخاصة بعد استمرار القتال ما بين الدولتين.

اهداف الدراسة: يهدف البحث إلى العديد من الأهداف التي من خلالها يمكن الوقوف على أهمية البحث ومنها:

١- ابراز دراسة الواقعية من خلال مفكري ومنظري السياسة الدولية.

٢- معرفة أهداف ودوافع الحرب الروسية على اوكرانيا.

٣- إمكانية تصور مستقبل العلاقات الروسية – الأوروبية والامريكية، وخاصة في ظل الحرب الروسية على أوكرانيا.

المنهجية البحثية: سيتم دراسة الموضوع وفق مناهج عدة ومنها منهج صنع القرار والذي مؤداه ان السياسة تعني بالنهاية سلسلة من صنع القرارات، ووفق هذا المنهج فأن بؤرة البحث تدور عادة حول رئيس الدولة او مجموعة محددة العدد المشاركة معه في صنع القرار، وهو ما تم من خلاله كيف ان اتخاذ قرار الحرب على اوكرانيا كان من قبل الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين، وكذلك لمواجهة هذه الحرب لم يكن امام الرئيس الاوكراني الا الوقوف والصمود في هذه الحرب والا كان التخلي عن السلطة ليبعد الدولة عن تلك الحرب. وهنا لابد من بيان أنه خلال الأسابيع التي سبقت قمة الناتو عام ٢٠٠٨ فقد حذر الرئيس فلاديمير بوتين الأمريكيين من أن خطوات الضم لأوكرانيا إلى التحالف سوف تكون عملا عدائيا نحو روسيا، هذا وبعد عدة شهور دخلت روسيا في حرب مع جورجيا مما أتضح معه استعداد بوتين لاستخدام القوة لتأمين مصالح روسيا[١]، وكذلك يتم استخدام منهج التحليل النظمي بحيث تمثل مفاهيم القوة او السلطة وصنع القرارات أو السياسات، أهمية جوهرية في تحليل منظري هذا المنهج للحياة السياسية كتوزيع سلطوي للقيم، وهو ما حصل فعلا عند مساندة دول الاتحاد الاوربي والولايات المتحدة لأوكرانيا للوقوف اما الغزو الروسي لها، بحيث عملت تلك الدول لإيجاد نوع من التوازن في القوة ما بين روسيا واوكرانيا من خلال الدعم المادي والعسكري لها.

المبحث الاول: دراسة الواقعية من خلال تقييم المفكرين ومنظري السياسة الدولية : هناك العديد من المدارس الخاصة بدراسة العلاقات الدولية ولكل مدرسة هناك منظرين ومؤيدي لها في ظل نظام دولي تشكل به المصالح القومية والوطنية اكثر المفاهيم اتساقا من حيث لا يمكن ان تنفرد دولة واحدة في ظل هذا النظام ولتطالب ان يكون هناك توازن قوى دولية متصارعة من الوصول الى مصادر الطاقة ومحاولتها السيطرة على الاقتصاد العالمي أو ان يكون لها دور اكبر في ذلك المجال، وخاصة مع وجود قطب اوحد او واحد مهيمن نوعا ما على ذلك النظام وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي مع العقد الاخير من القرن الماضي ومحاولة وريثه الحال متمثلة بروسيا الاتحادية لعودة القطبية الثنائية وهو ما دعاها الى اعلان الحرب ضد اوكرانيا

[١] محمد أبو غزالة: التداعيات الجيو ستراتيجية للازمة الاوكرانية على أوروبا، تريندز للبحوث والاستشارات، على الموقع: https://trendsresearch.org/research.php?id=312

وخاصة بعد محاولة الاخيرة التوصل الى الدخول الى الاتحاد الاوروبي، والذي يكون بذلك اقرب ما يكون تطويق موسكو من عدة جهات، لذا سيتم في هذا المبحث التطرق الى المدارس الخاصة بدراسة العلاقات الدولية ومنها:

اولاً: المدرسة الواقعية الكلاسيكية :

كانت الحرب العالمية الثانية بمثابة المحرك الرئيسي لمنظري المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية التي برزت في أربعينيات القرن العشرين كردة فعل نتيجة فشل المدرسة المثالية التي سادت في فترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في التنبؤ بوقوع الحرب العالمية الثانية، والتي جلبت للعالم دماراً شاملاً ومضاعفاً عما كان في الحرب العالمية الأولى. وعليه، فقد جاءت الواقعية لتدرس وتحلل ما هو قائم في العلاقات الدولية وتحديداً سياسة القوة والحرب والنزاعات، ولم تهدف كما فعلت المثالية إلى تقديم نظريات وأفكار حول ما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية. وقد ورث الواقعيون نظرة الشك العميق التي كانت لدى كل من ميكافيللي وهوبز وجان جاك روسو، حيث كانت حالة عدم الثقة هي السائدة آنذاك، ويتفق أغلب الباحثين على أن مساهمة "هانز مورجنثاو" من خلال كتابه "السياسة بين الأمم": الصراع من أجل القوة والسلام" تعتبر لوحدها سبباً مهماً في تأسيس النموذج المعرفي الواقعي وهيمنته في حقل العلاقات الدولية[١]، فقد أشار مورجنثاو في كتابة إلى أن الصراع بين الدول هو صراع في سبيل القوة، فالقوة في حد ذاتها هدفاً وليست وسيلة بل أنها أساس البقاء، وأن القيم والمثل يؤخذ منها ما يتطابق مع مصالح الطرف الأقوى[٢]، وقد هيمن هذا المنظور على حقل العلاقات الدولية خلال فترة الحرب الباردة. وعليه، فإن الافتراض الرئيسي للمدرسة الواقعية هو أن الشؤون الدولية عبارة عن صراع من أجل القوة بين دول تسعى لتعزيز مصالحها بشكل منفرد[٣]، وعموماً

[١] انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، العراق، السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٧، ص٢١٧.

[٢] جاك دونللي، مجموعة مؤلفين، نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد الصفار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤. ص٥٣.

[٣] ستيفن وولت، العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة، ترجمة: زقاغ عادل وزيدان زياني، ص٢.

يمكن **تلخيص مرتكزات الواقعية الكلاسيكية وتصوراتها حول السياسة الدولية في النقاط التالية**[١]:

١. الواقعية صراع من أجل القوة في العلاقات الدولية لأنه لا وجود لقوة فوقية.

٢. تعتبر الدول من المنظور الواقعي أهم الفاعلين على الإطلاق.

٣. تحتاج الدول للأمن (القومي) لحماية مصالحها الوطنية ويدخل ضمن هذا الإطار إلى سعيها لاكتساب القوة.

٤. الدول فواعل عقلانية تسعى إلى تعظيم الفوائد وتقليص التكاليف المتلازمة مع سعيها لتحقيق أهدافها.

٥. تعتبر الدولة فاعل وحدوي لأغراض تحليلية، حيث تواجه الدولة العالم الخارجي كوحدة مندمجة.

وقد اعتمدت الواقعية الكلاسيكية على مفاهيم خاصة لفهم وتفسير مختلف الظواهر المعقدة في السياسة الدولية بما فيها ظاهرة السياسة الخارجية وتعتبر مفاهيم القوة، المصلحة القومية، توازن القوى، تعظيم المكاسب، المساعدة الذاتية، العقلانية والفوضى الدولية... إلخ، من المفاهيم الرئيسية التي اعتمدتها الواقعية لتفسير السلوك الخارجي للدول، ويعتبر مفهوم القوة متغيراً أساسياً ورئيسياً في شرح وفهم السلوكية الدولية كذلك مفهوم المصلحة القومية الذي يعتبر معيار أساسي في السياسة الخارجية[٢]. وقد اعتمد مورجثاتو على منهاج تحليل ينظر إلى عملية صنع السياسة الخارجية على أنها– باستمرار– عملية ترشيديه (عقلانية)، بمعنى أنها لا تخرج عن كونها عملية توفيق بين الوسائل المتاحة وبين الأهداف التي هي ثابتة[٣]، لذا فإن كل سياسة

[١] تاكايوكيياماموراا، "مفهوم الأمن في العلاقات الدولية"، ترجمة: عادل زقاغ نقلا عن موقع:
http://www.geocities.com/adelzeggagh/secpt.html

[٢] ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥، ص٢٥.

[٣] جهاد عودة، النظام الدولي.. نظريات وإشكاليات، القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٠.

خارجية هي عقلانية لأنها تسعى دائماً لتعظيم القوة والمصلحة القومية، وحينما يتم الاعتماد على مفهوم "المصلحة القومية" القائل بأن تحقيق المصلحة القومية للدولة هو الهدف النهائي المستمر لسياستها الخارجية، فإن السياسة القومية تكون هي محور الارتكاز أو القوة الرئيسية المحركة للسياسة الخارجية لأي دولة من الدول، مما يضمن عدداً من المزايا مثل[١]:

١. يجرد الاعتماد على مفهوم " المصلحة القومية" كأحد أهداف السياسة الخارجية للدول من التبريرات المفتعلة أو غير الواقعية.

٢. إن مفهوم "المصلحة القومية" يوضح جانب الاستمرار في السياسات الخارجية للدول، رغم التبديل الذي يلحق بالزعامات السياسية، أو التحول الذي يصيب نمط الإيديولوجيات المسيطرة، أو نماذج القيم السياسية والاجتماعية السائدة. ويرى "مورجنثاو" في الكيفية التي تدير الدولة فيها لشؤونها في علاقاتها مع الأمم التي تنافسها أنه على المستوى الدولي لن تعثر على قوة أو قانون يضمن النظام ويصون الأخلاق، وأن ما يقع من مظالم للدولة في علاقتها مع غيرها لن يزول إلا بالقوة، وفي ظل النظام الدولي لا يمكن لغير الدولة أن تفعل ذلك، وطالما أن حالة النظام الدولي هي حالة من الفوضى والحرب، فإنه يجب على الدولة أن تتكيف مع معطيات ذلك النظام[٢].

ولا يعتمد التحليل الواقعي للظاهرة الدولية على مستوى التحليل الداخلي بما فيه العوامل المجتمعية والعوامل الثقافية السائدة داخل المجتمع، فهي تحاول إعطاءنا تفسير لسلوك الدولة داخل النسق أو المسار الدولي والسياسية الدولية وليس اعتماد سلوكياتها كوحدة منفردة [٣]، فالواقعية تفضل التعامل مع سلوكيات الفواعل والوحدات على أنها نتاج تفاعلات خارجية نابعة من طبيعة السياسية الدولية ونمط التفاعل وشكل العلاقات فيها، وهي بذلك تنطلق من مبدأ

[١] المصدر السابق، ص ٣١.

[٢] نفس المصدر، ص ٤٠.

[٣] جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٤٥.

التكافؤ والتشابه في السياسات الخارجية لبعض الدول المتقاربة أو حتى المتشابهة من حيث مكانتها في النظام الدولي رغم الاختلاف الكبير والتباين في المكونات الداخلية لهذه الدول. وقد أكد أنصار المدرسة الواقعية على أنه لا يوجد انسجام أو توافق جوهري في المصالح بين الدول، بل توجد بينهم أهداف قومية متضاربة ومتصارعة قد يؤدي بعضها إلى الصراع والحرب، وأن الذي يحدد نتائج هذه الصراعات هو إمكانيات الدول وتحديداً العسكرية وقدرة أي دولة على التأثير في سلوك الأخرى بجانب العناصر الأخرى للقوة القومية مثل السكان، والموارد الطبيعية، العوامل الجغرافية، شكل الحكومة، النظام السياسي والتقدم التكنولوجي.... الخ، أي أنهم بذلك قاموا باستبعاد القيم والمثل كعناصر مؤثرة في قوة الدولة ونفوذها، وحسب الواقعيون فإنه في صراعات القوى فإن الدول تنتهج أحدى السياسات التالية: سياسة تسعى للحفاظ على القوة، سياسة تسعى لزيادة القوة وسياسة تظاهر بالقوة (عرض العضلات)[١]. ويعتقد الواقعيون أن الهدف من دراسة العلاقات الدولية لا يتمثل في تطوير خطط السلام أو مناقشة كيف يسير العالم، لكن الهدف هو دراسة العلاقات الدولية لفهم الهيكل والعمليات المتكررة وديناميكيات أنظمة الدول، ويقلل الواقعيون من أهمية القانون الدولي ويجردون العلاقات الدولية من كل مضمون أخلاقي أو اعتبار قيمي، لأن الحرب والسعي لاكتساب القوة لا يعرفان أي من تلك الاعتبارات فالأخلاق عملة فاسدة في السياسة، ويؤكدون بشكل حازم على القوة العسكرية كأداة لحفظ الأمن والسلام. [٢]

ثانياً: الواقعية الهيكلية الجديدة (Neo- structural Realism):

نشأت هذه المدرسة في السبعينيات من القرن العشرين وهي وإن أبقت على المفاهيم الأساسية في الواقعية التقليدية وأهمية القوة وميزان القوى والمصلحة القومية، إلا أنها تعتبر تطوراً عن الواقعية القديمة من حيث انفتاحها على حقول العلوم الاجتماعية الأخرى واستفادتها منها وعدم

[١] جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، الكويت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٥، ص٧١.

[٢] أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص٢١٩. وينظر كذلك، احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، المملكة الاردنية الهاشمية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص٩٠-ص١٠٠.

اعتبار الحقل السياسي كحقل مستقل ذاتياً، كما كانت الحال عليه مع كتاب المدرسة الواقعية. ومن أهم مآخذ الواقعية الجديدة على الواقعية التقليدية ما يلي[١]:

١. وجود مفاهيم وحجج غير واضحة ومشوشة ومتزعزعة، وقد حاولوا بالتالي تحديدها بشكل أكثر دقة.

٢. عدم أخذها بنظرية المعرفة في العلوم الاجتماعية الأخرى التي تساهم في إعطاء صورة شاملة للدراسات السياسية الدولية كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع.

٣. عدم الوضوح في التمييز بالأمور الموضوعية و الذاتية في الحياة السياسية الدولية.

٤. الاهتمام فقط بالمجال الأمني السياسي في تحليل السياسة الدولية، فكان هناك تغييب لعوامل أساسية ومؤثرة في الحياة السياسية الدولية كازدياد الاعتماد المتبادل في المجالات الاقتصادية وتداخل المجال الاقتصادي مع المجال الأمني – السياسي على سبيل المثال.

وقد تم توجيه انتقادات إلى أطروحات الواقعية التقليدية بسبب منهاجيتها السلوكية، التي تمحورت حول سلوك الدولة – العنصر الأساسي في تقديرها – في السياسة الدولية، وأخفقت في استيعاب الواقع الحقيقي على أنه "نظام" له بنيته أو كيانه المميز، وبالغت في تفسيرها للمصلحة ومفهوم القوة وأغفلت سلوك المؤسسات الدولية، وأطر علاقاتها الاعتمادية في جوانبها الاقتصادية[٢]. وقد ركزت الواقعية الجديدة على الصراع السياسي الدولي المهيمن الذي هو وراء العلاقات الاقتصادية الدولية والذي يحدد ديناميكية تلك العلاقات بشكل كبير[٣].

وبغية تكييف الواقعية التقليدية مع التطورات الحاصلة في السياسة الدولية، ظهرت (الواقعية الجديدة) وهي اتجاه داخل الواقعية طوره كينيث والتز (K. Waltz) وأطلق عليه اسم الواقعية

[١] ناصيف يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

[٢] جهاد عودة، مصدر سبق ذكره، ص٤٣- ص٤٤.

[٣] ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

البنيوية أو الهيكلية، أثار فيها العديد من الأسئلة الإضافية التي لم تكن الواقعية التقليدية قد عنيت بها[١]، ولم تختلف الواقعية في شكلها الجديد عن الواقعية التقليدية في خصوص اعتبار العوامل النابعة من البيئة الخارجية كمحدد رئيسي للسلوك الخارجي للدول، وذلك انطلاقاً من الأساس الذي يؤكد ندرة الأمن وفوضوية النظام الدولي، ومن هذا المنطلق فإن جل اهتمام الوحدات السياسية هي كيفية الحفاظ على وجودها، إذ دافع والتز عن منظور منظومي أو بعبارة أخرى عن رؤية تنطلق من منظومة ما، أي من مجمل المنظومة الدولية التي تفرض طريقة معينة على شكل وحدات المنظومة وتصرفاتها عن طريق مظاهرها الضاغطة، إذا فالمنظومة الدولية هي بنية تفرض نفسها على وحداتها[٢]، يقول والتز بأن: "بنية النظام الدولي هي التي تشكل كل خيارات السياسة الخارجية للدولة"[٣].

ويتطلع إلى بناء نظريته على افتراض أن الواقعيين التقليديين حددوا موطن الحرب في مستوى واحد من اثنين أو كلاهما، وهما الفرد والمجتمع أو الدولة، والصواب هو وجوب الفصل بين مستوى النظام ووحداته، ويرى والتز أن تاريخ العلاقات من الحروب الدينية إلى الحرب الباردة يكشف أن ثمة أنماط وتكرار وانتظام في هذه التفاعلات، ويشير إلى ظاهرة علاقة الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفييتي في نظام توازن القوى، كما عرفته الحرب الباردة فعلى الرغم من اختلاف البنية السياسية للدولتين، وعدم تطابق الأيديولوجيتين، سلكت القوتان أنماط متشابهة في البحث عن نفوذ وتأثير وبسط هيمنة وتحقيق مكاسب، فما هو السر في ذلك؟ ويجيب من خلال دراسته للبنية النظامية على المستوى الدولي، حيث يرى وجود تغييرات

[١] احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، (الاردن، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع،٢٠١١)، ص١٠٥.

[٢] اكزافييه غيوم، العلاقات الدولية، ترجمة : قاسم المقداد، مجلة الفكر السياسي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب العدد ١١-١٢ مزدوج، دمشق سنة ٢٠٠٣. نقلاً عن الموقع الإلكتروني:

http://www.awu-dam.org/politic/11-12/fkr11-12-004.html.

[٣] مبروك غضبان، المدخل للعلاقات الدولية، الجزائر، بأتنه، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، ٢٠١١، ص٣٢٧.

خارجية على أفعال القوى أشد تأثيراً من تلك النابعة من السياسة الداخلية[١]. وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص أهم مبادئ ومرتكزات الواقعية الجديدة في تفسيرها النسقي للسلوك الخارجي للدول من خلال النقاط التالية:

١. تتسم الواقعية الجديدة بنوع من "الدولاتيه"، فالدولة هي المعطي الأساسي فيما يخص كونها كيان قادر على أن يكون له أهدافه ومصالحه، وبالتالي هناك رفض مبدئي لكل إشكالية حول قوة الدولة أو موقعها في السياسة الدولية [٢]. فالدولة هي الفاعل الأساسي في السياسة الدولية بسبب امتلاكها لوسائل العنف المنظم، خاصة وأن الدول تتجه إلى فهم بيئتها الدولية وليس الداخلية. وقد شهد العالم مع بداية الثمانينيات تزايداً كبيراً لفواعل جديدة في النظام الدولي من الشركات المتعددة الجنسية والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية مما جعل افتراض الواقعية الكلاسيكية أمام وضع يستحيل فيه تجاهل هذا التواجد على الأقل (دون النظر إلى مدى فاعليته) لهذه الفواعل الجديدة، لذلك نجد أن الواقعية الجديدة حاولت التعامل مع هذا النقص في عملية تعديلية ضمت فيها هذه الفواعل واعتبارها جزء في التحليل دون أن تكون ذات فعالية أو استقلالية عن سياسات الدول وأهدافها.

٢. الطبيعية الفوضوية للنظام الدولي هي التي تحدد سلوك الفواعل، تنطلق الواقعية الجديدة من القول بأن بنية النظام الفوضوية تفرض على الدول داخل النظام الدولي نمط السلوك المتبع في بيئة المساعدة الذاتية وللأمن، والدول في هذه الوضعية تكون مبرمجة للعب دور محدد تمليه إملاءات ترتيبها في سلم القوى الدولي، وتعرف الفوضوية بأنها تعبر عن حالة "غياب الحكومة" على المستوى الدولي، وبالمعنى الرسمي فإنها تشير إلى عدم وجود سلطة مركزية[٣]، وبهذا المعنى فإنها بالتأكيد سمة من سمات النظام الدولي وتحدد الإطار الاجتماعي / السياسي الذي تحدث فيه العلاقات الدولية، ومن حيث الظاهر نجد أن منطق

[١] احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص١٠٦.

[٢] ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

[٣] أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٤.

الفوضوية حاسم، فالدول هي العناصر الفاعلة الرئيسية الموجودة في بيئة المساعدة الذاتية والتي تكون فيها المعضلة الأمنية ملحة، لذا نجد أن الواقعية الجديدة تسعى للعمل ضمن حدود الفوضوية البنيوية، والتي تظل الدول فيها عاجزة على الثقة في الدول الأخرى، ويبقى هدفها الرئيسي ليس زيادة القوى كما اعتقد الواقعيون التقليديون، بل العمل على حفظ البقاء أو المحافظة على الذات "Self – preservation" ، وهذا ما يصيغه والتز في معادلة " أن الفوضى تؤدي إلى الاهتمام بحفظ البقاء"، وهذا الاهتمام يؤدي إلى البحث عن المصلحة والقوى والهدوء[١].

٣. العوامل الداخلية ليست عاملاً مهما في السياسة الدولية، يتمسك الواقعيون الجدد بطرح صلب جداً بخصوص فصل السياسة الداخلية عن الخارجية ونفي أية علاقة بينهما، وهذا ما دافع عنه والتز بقوله :" نظرية العلاقات الدولية تفقد طبيعتها عندما تتدخل الخصائص القطرية للدول كأداة تفسيرية للسلوك الخارجي"، لذا ينفون أية أهمية أو قيمة للعوامل الداخلية في تفسير وفهم السلوك الخارجي للدول، بحيث تختصر السياسة الخارجية ضمن الطروحات النسقية الدولية، باعتبار أن النسق الدولي هو الذي يحدد طبيعة السلوك الخارجي للفواعل الدولية [٢]. وعليه، يبدو أن الواقعيين وخصوصاً واقعية والتز البنيوية تفصل وتنفي أي تأثير وأهمية للسياسة الداخلية في تقديم أطر تفسيرية للسلوكيات الخارجية للفواعل، ما دفع البعض لوصفها بـ "النظرية النيو واقعية النسقية الصرفة(purely systemic neorealist Theory)"، وذلك بسبب نفيها لأي تأثير للعوامل الداخلية على صنع السياسة الخارجية، غير أن هذه الطروحات الصلبة داخل الواقعية لم تلقي قبولاً من كل الواقعيين، وخاصة أنصار الواقعية النيو كلاسيكية في شقها المتعلق بتصورات الواقعية الدفاعية حول مدى صحة وانحسار تفسير السلوكيات الخارجية للدولة في حدود معطيات البيئة الدولية وبنيتها الفوضوية، وهذا ما أدى بالنتيجة إلى انقسام أنصار هذا النموذج

[1] James N. Rosenau، " international politics and foreign policy''، the free press، New – York، 1969، p 294.

[٢] أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٣.

التفسيري إلى موقفين وفق معيار تأثير أو عدم تأثير السياسة الداخلية على السياسة الخارجية.

ثالثاً: الواقعية الكلاسيكية الجديدة (Neo- classical Realism):

بعد النفي التام لتدخل العوامل الداخلية في تفسير السلوك الخارجي من قبل كل من الواقعية التقليدية لمورجنثاو والواقعية البنيوية لوالتز، حاولت "الواقعية التقليدية الجديدة" تخفيف حدة الفصل بين البيئتين الداخلية والخارجية، بحيث قدمت مواقف وصفت بالمعتدلة، لتشكل بذلك مبادرة إيجابية لإعادة النظر في مستويات التحليل المعتمدة في تفسير السلوك الخارجي وإعطاء أهمية للمحددات الداخلية إلى جانب المحددات النسقية، وتنقسم الواقعية النيو كلاسيكية بدورها إلى ما يعرف بالواقعية الدفاعية والواقعية الهجومية، فكلاهما يعترف ويقر بدور وتأثير البنية الداخلية وإدراكات صانع القرار على توجهات وأهداف السياسة الخارجية، غير أن هذا لا يمنع من وجود فوارق بينهما، سنحاول تبيينها فيما يلي:

١- الواقعية الدفاعية "The Defensive Theory" :

تعتبر الواقعية الدفاعية بالصورة التي قدمها روبرت جريفس وجورج كويستر وستيفن والت وستيفن فان إفراوجاك سنايدر، من الإضافات المهمة للواقعية، وتفترض الواقعية الدفاعية أن فوضوية النسق الدولي أقل خطورة وأن الأمن متوفر أكثر من كونه مفقوداً، وهي بهذا تقدم تنازلاً بتقليصها للحوافز النسقية الدولية وجعلها لا تتحكم في سلوكيات جميع الدول، وإنها بدأت تقر بوجود سياسات خارجية متمايزة، وبالتالي الاعتراف بالآثار الضئيلة للبنيات الداخلية على السلوك الخارجية[١]، فعندما تكون القدرات الدفاعية أكثر تيسراً من القدرات الهجومية فإنه يسود الأمن وتزول حوافز النزعة التوسعية، وعندما تسود النزعة الدفاعية ستتمكن الدول من التمييز بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة ذات الطابع الهجومي، وآنذاك يمكن للدول امتلاك الوسائل الكفيلة بالدفاع عن نفسها دون تهديد الآخرين، وهي بذلك تقلص من آثار الطابع الفوضوي

[١] أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٤.

للساحة الدولية[١]. بالتالي تخفف من حدة تأثير هذه البنية الفوضوية على سلوكيات الفواعل، فالقادة السياسيون لا يحاولون وضع دبلوماسية عنيفة واستراتيجية هجومية إلا في حالة الاحساس بالخطر، وبالتالي فإنه في غياب الأخطار الخارجية فإن الدول ليس لها دوافع آلية إلى إتباع هذه السياسات العنيفة، وعليه فقد طورت الواقعية الدفاعية فرضياتها لتبين من خلالها أثر المحددات الداخلية للدولة في تحديد طبيعة التوجه الخارجي، ففي حالة وجود خطر خارجي فإن الدولة تجند مجموع القدرات العسكرية، الاقتصادية والبشرية، وإدراك هذا الخطر مرتبط بذاتية القادة السياسيين الذين يحدون من الوسائل المستعملة إلى الدفاع عن المصالح الحيوية فقط وأكبر مصلحة حيوية وهي الأمن[٢]، ومن هنا يبدو واضحاً أن الحديث عن إدراكات صناع القرار طرح جديد للواقعية الدفاعية، على عكس ما تم تداوله سابقاً لدى الواقعية البنيوية لوالتز، فتوزيع القوى والتحولات الدولية مرتبط أساساً بإدراكات القادة الوطنيين، ويؤكدون ذلك انطلاقاً من تشبيهات تاريخية وأخرى إدراكية، فدور إدراك الأخطار عند القادة السياسيين هو المؤدي إلى الاستقرار المنتظر حسب الواقعية الدفاعية. وقد أتت الواقعية الدفاعية بمصطلح "الواقعية التعاونية (Cooperative Realism)" ، وذلك من أجل إيجاد مساحات تكون فيها المصالح القومية متجانسة واعتبارها أساساً للتعاون ونقطة انطلاق لبناء مؤسسات دولية[٣]، وهذا من أجل تفادي الحرب بوضع سياسات مشتركة. وتبعاً لذلك، ومع تراجع حالة الفوضى في النظام الدولي سيتراجع بذلك أهم محدد لتفسير السلوك الخارجي بالنسبة لواقعية والتز ونتجه أكثر فأكثر لإثبات دور المحددات الداخلية في تفسير السلوك الخارجي (إدراك صانع القرار للبيئة الخارجية).

٢- **الواقعيه الهجومية " the offensive theory"** : ظهرت الواقعية الهجومية كرد فعل للواقعية الدفاعية، حيث انتقدتها حول المرتكز الأساسي لها في أن الدولة وفي إطار الفوضى

[١] ستيفن وولت، مصدر سبق ذكره.

[٢] عبد الخالق شامل محمد، رينما اسماعيل احمد، النظرية الواقعية البنيوية في العلاقات الدولية، جامعة تكريت، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ٢٠٢٢، ص٥٢.

[٣] أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٥.

الدولية تبحث فقط عن أمنها، حيث ترى عكس ذلك بأن الفوضى تفرض باستمرار على الدول تعظيم وزيادة القوى، لذا فإن رواد الواقعية الهجومية يعتقدون بتزايد احتمالات الحرب بين الدول كلما كانت لدى بعضها القدرة على غزو دولة أخرى بسهولة[١]، وبالتالي استمرار حالة الفوضى المطلقة، ومن أهم روادها راند شولير، بيتر لبيرمان، إريك لابس وجون ميرشايمر. ومن أهم ما يميز طرح الواقعية الهجومية هو عدم الإقرار بأن تفسير السياسات الخارجية والمخرجات الدولية لمختلف الدول يكون مبنياً على فكرة الفوضى وهذا ما ترفضه الواقعية الهجومية، فإن التركيز على السياسة الخارجية للدول يجب أن يضم المتغيرات الداخلية والخارجية (النسقية) والتأثيرات الأخرى المختلفة[٢].

وقد شكلت المواقف الجديدة بالنسبة للواقعية الكلاسيكية الجديدة تحولاً عميقاً لدى المدرسة الواقعية فيما يتعلق بالحدود الفاصلة بين ما هو داخلي وما هو خارجي، حيث تؤكد على تأثير المحددات الداخلية في توجيه السياسة الخارجية، فقد شكلت التطورات الجديدة على مستوى التفاعلات الدولية والتطور العلمي وزيادة الاهتمام الشعبي والرأي العام بالقضايا الدولية وزيادة عدد الدول المستقلة إلى فتح مجال الاهتمام لدراسة ومراقبة علاقاتها ببعضها البعض وفق مقاربات جديدة قادرة على استيعاب مختلف المتغيرات المؤثرة في السياسة الخارجية خارج إطار المتغيرات الدولية (النسقية). وتبعاً لذلك، لم تعد العلاقات بين الدول والتأثير المتبادل حكراً على المستوى الحكومي بل تعدى ذلك ليشمل العلاقات والتأثير المتبادل على المستوى المجتمعي ولو بدرجات متفاوتة حسب بنية الدول المعنية، وقد ساهم هذا كله في زيادة الاهتمام الشعبي بالعلاقات الدولية وبالتالي السياسة الخارجية بعد أن كانت وفقاً من حيث الاهتمام على قطاعات معينة نخبوية في كل دولة[٣]، وأدى هذا بدوره إلى بروز نماذج نظرية تأخذ بعين الاعتبار مختلف المتغيرات الداخلية والخارجية في فهم وتفسير السلوك الخارجي للدول[٤].

---

[١] ستيفن وولت، مصدر سابق.

[2] John – Mearsheimer.، " Realism. The Real World And Academia". University of Chicago، 2000. P10.

[٣] ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢-ص١٩٣.

[٤] عبدالخالق شامل محمد، رينما احمد اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٥٤.

وتبعاً لذلك، وبما أن المدرسة الواقعية بتطوراتها المتعاقبة خلصت إلى دور وتأثير كل من المحددات والعوامل الخارجية (النسقية) إلى جانب المحددات الداخلية للدولة (إدراكات صناع القرار وغيرها من العوامل)، في التأثيرات على السياسات الخارجية للدول وبالتالي على العلاقات فيما بينها، وبما أن الطابع الصراعي (التنافسي) أو عدم التعاوني هو الطابع الغالب على طبيعة العلاقات الروسية – الاوكرانية في مضمونها العام، بسبب وجود العديد من المحددات والعوامل المؤثرة في العلاقات بين البلدين، منها ما هو داخلي أي ضمن حدود كل دولة على حدة ومنها ما هو نابع من خارج حدود كلتا الدولتين (سمات وأنماط التفاعل في النظامين الإقليمي والدولي)، وعليه نستطيع تناول موضوع الحرب الروسية– الاوكرانية من خلال منهاجية تقوم على الجمع والمزاوجة بين طرح وأفكار الواقعية الكلاسيكية التي سعت إلى تحليل علاقات التنافس والصراع بين الدول، حيث أكدت على أن العلاقات بين الدول هي علاقات صراع وتنافس وسعي لزيادة القوة من أجل تحقيق المصلحة الوطنية للدولة، وأكدت كذلك على تأثير البيئة الخارجية للدولة والمتمثلة بطبيعة النظام الدولي على السياسة الخارجية للدولة كما ذكرنا، وخاصة من الولايات المتحدة الامريكية ودول حلف الناتو او الاتحاد الاوربي التي تحاول ان تكون اوكرانيا أحد اعضائه وهو ما جعل روسيا تقوم بهذه الخطوة، وبين طرح الواقعية الكلاسيكية الجديدة التي قللت من فوضوية النظام الدولي وأكدت على وجود تأثير للعوامل والمحددات الداخلية للدولة (إلى جانب المحددات الخارجية النسقية) في السياسة الخارجية للدولة وبالتالي في علاقاتها بالدول الأخرى. ويعتبر مفهوم المصلحة الوطنية لدى المدرسة الواقعية العنصر الحاسم في تحديد شكل وطبيعة العلاقات بين الدول وهو ما تم ملاحظته في سياسة روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي[١]، حيث تصوغ الدولة سياستها الخارجية تجاه الدول الأخرى بما يتلاءم مع هذه المصلحة، ووفقاً للمصلحة الوطنية للدولة قد تتحول بعض العوامل والقضايا من قضايا خلافية إلى قضايا تعاون وتقارب وبالعكس، وأيضا قد تتفق دولتان في قضايا معينة وتختلف في قضايا أخرى في الوقت ذاته، وهو ما يفسر جانب التغير وعدم الاستقرار في طبيعة العلاقات بين بعض الدول ومنها العلاقات الروسية – الاوكرانية بسبب الاختلاف وتنازع

[١] صدام مرير حمد، أثر انهيار الاتحاد السوفيتي على المجتمع الدولي، جامعة كركوك، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد١، العدد٣، ٢٠١٢، ص٣٦٩.

الإرادات الوطنية في بعض الملفات والقضايا المشتركة وأهمها وجود عدد غير قليل من التبعية الروسية داخل اوكرانيا والذين رحبوا بالخطوات التي اتخذتها روسيا بعد احتلالها لمناطقهم داخل اوكرانيا.

المبحث الثاني: المفاهيم الخاصة بدراسة العلاقات الدولية وكيفية تجسيدها للمصلحة الوطنية:

اولاً: المصلحة القومية (national interest): إن مفهوم المصلحة القومية هو مفهوم واسع ومختلف من دراسة إلى أخرى، ولكن هناك حد أدنى يتبلور حوله المفهوم لدى جميع الدول وهو "حماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للدولة" أي المحافظة على البقاء، وأيضاً يحتوي المفهوم على تلك المظاهر التي تسعى بها الدول لتحقيق مصالحها وآمالها، وتجد بعض الدول نفسها أمام ضرورة تحديد مصالحها الجوهرية في ظل الهيمنة الكاملة على الأقاليم المجاورة أو البعيدة عن إقليمها، وعليه فإن كل دول العالم الصغيرة والكبيرة تجد أنه من الضروري التعبير عن مصالحها الجوهرية لتأمين الحدود الاستراتيجية الأمنية حتى وإن جرى تأمين هذه المصالح بسياسات غير أخلاقية وبعيدة عن القيم الجوهرية للأعراف الدولية، يقول هوتري :"طالما كانت العلاقات الدولية قائمة على القوة، فإن هذه القوة تكون الهدف الرئيسي للطموح القومي"[1]. وسيتم توظيف مفهوم المصلحة القومية في الدراسة كأحد المحددات الداخلية المؤثرة في العلاقات بين البلدين بشكل عام.

ثانياً: التفاعلات الإقليمية (Regional interactions):

يقصد بها العلاقات والتفاعلات التي تحدث بين الدول أعضاء النظام الإقليمي وضمن إطار هذا النظام والتي تعرف عادة باسم "العلاقات الدولية الإقليمية"، وتخضع تفاعلات النظام الإقليمي لمجموعة من المحددات تضبط مسار هذه التفاعلات وتحدد أنماطها، وتقسم هذه المحددات إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي:

[1] ناظم الجاسور، موسوعة علم السياسة، عمان: مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص٢٣٢.

"هيكلية النظام وخصائصه البنائية، طبيعة النظام ودور القوى الخارجية أو ما يسميه كانتوري وشبيجل (نظام التغلغل) والنظر إليه كجزء رئيسي من تفاعلات النظم الإقليمية[١]. ويشير مفهوم التفاعلات الإقليمية في الدراسة إلى طبيعة التفاعلات أو العلاقات مع دول الجوار الاوكراني وكيف يمكن تقديم الدعم لها من قبل دول الاتحاد الاوربي والولايات المتحدة الامريكية خلال فترة الدراسة.

ثالثاً: القوة الإقليمية (Regional Power): يفهم من مصطلح القوة الإقليمية أنها "دولة تأخذ على عاتقها وظائف تحكمية ضبطية على مستوى إقليمي، وذلك بمعنى أنها توازن قوى أخرى، وتفرض نظم للسلوك تسهر على إدامتها، وتقيم استقراراً في مناطق نفوذها وتعاقب العصاة من بينها"، وهذه تكون دولة تحتل بديهياً موقعاً مهيمناً في أراضي دول منطقتها، أو تكون جزءاً من نظام عالمي لتوازن القوى، وتستطيع فرض نفسها حتى حيال حلف من الدول الأخرى[٢]. سيتم استخدام المفهوم في الدراسة من خلال توصيف سعي اوكرانيا الانضمام الى حلف الناتو وكذلك الى الاتحاد الاوروبي، وما له من تأثير على العلاقات الإقليمية والدولية فيها. وكيف أثرت تلك التوجهات على صانع القرار في روسيا.

- **الاقليات القومية:** ارتبطت ظاهرة الاقليات القومية بما طرأ على حدود الدول من تغير، أما بضم اقاليم تسكنها شعوب تنتمي الى قوميات مختلفة او باقتطاع أجزاء من الدولة مما يترتب عليه تشتيت ابناء الوحدة الواحدة وفي كلا الحالتينِ كان الاخضاع هو اساس التعامل مع تلك الاقليات من منطلق رفض التمايز وهو ما تاكد مع عصر القوميات بحرص الدول على تحقيق وحدتها القومية في الوقت الذي بدات فيه هذه الاقليات تعي بذاتها، وهو ما قامت به فعلا بعد احتلالها لجزيرة القرم٢٠١٤.

[١] محمد السعيد إدريس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥- ص٥٧.

[٢] هاينز كارمر، تركيا كقوة إقليمية جديدة: دراسة للمفهوم السياسي الاستراتيجي، شئون الأوسط، العدد ٥٥، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٦، ص١٥.

المبحث الثالث: الحرب الروسية– الاوكرانية، الدوافع والاهداف: هناك عدة متغيرات مؤثرة سببت عملية الغزو الروسي لأوكرانيا منها الداخلي والخارجي والتي كانت تأثيراتها مختلفة وحسب قدرتها في التأثير على الساحتين الروسية والاوكرانية، وهنا يجب علينا اولا معرفة معنى الحرب والصراع من اجل بسط السيطرة على منطقة او اقليم تابع لدولة اخرى وبعدها نأتي لدراسة الواقعية التي ادت الى تلك الحرب وما هو السيناريوهات المستقبلية لتلك الحرب.

أولاً: تعريف الحرب والصراع: أن الحرب ظاهرة بشعة في تاريخ البشرية، بل إنها ابشع ما اخترعته في تاريخها الطويل، ومهما كانت المبررات والاسباب فأن ذلك لا يقلل من بشاعتها[١]. فعلى مدى التاريخ البشري لم تأتي الحروب الا بالويلات على شعوبها من حيث الخسائر البشرية والمادية التي تضررت منها تلك الشعوب المتحاربة، الحرب لها أضرار كبيرة على المجتمعات الإنسانية وتتسبب في قتل كثير من الناس خاصة الأبرياء منهم وتهجيرهم وتدمير مساكنهم ومدنهم وأريافهم وممتلكاتهم، وتعيق التقدم البشري المأمول في حالة السلم، وتدمّر ثروات الشعوب وتحرم الأجيال الآتية من استثمارها إضافة إلى ما تفعله باقتصاد الدول والشعوب.

١- الصراع الدولي (International Conflict):

هناك تعريفات لا حصر لها لمفهوم الصراع عبر أكثر من نصف قرن، والصراع يبدأ من مجرد التعبيرات اللفظية المعادية وينتهي بالحرب كأعلى درجات العنف، ويحدث ذلك إما على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول، ويمكن أن يعرف الصراع الدولي على أنه " تنازع الإرادات الوطنية"، وهذا ينتج عن الاختلاف في دوافع الدول وفي تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها، وفي مواردها وإمكانياتها، مما قد يؤدي إلى اتخاذ قرارات أو انتهاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق، ولكن يبقى الصراع بكل توتراته وضغوطه دون نقطة الحرب المسلحة[٢]، وفيما يتعلق

[١] إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى، دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢، ٢٠٠٩، ص١٥.

[٢] محمد بن عبد الوهاب محمد علي نقلي، "التنافس الأمريكي – الأوربي على المنطقة العربية خلال الفترة من ١٩٤٥-٢٠٠٠"، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٧، ص ٢٥.

بتفسير ظاهرة الصراع وأسباب نشوئها فيشير والتر إلى وجود ثلاث مستويات لدراسة ظاهرة الصراع هي: طبيعة الإنسان، طبيعة الحكومة وطبيعة النظام الدولي، وهناك عدة مداخل لدراسة ظاهرة الصراع أهمها: المدخل السيكولوجي، البيولوجي، الاقتصادي، المصالح القومية وسياسة القوة[١]. وسيتم توظيف هذا المفهوم في الدراسة في وصف طبيعة العلاقات الروسية – الاوكرانية في إطارها العام، والتي يمكن وصفها بالشائكة أو عدم التعاونية على أقل تقدير. بحيث أنه نجد اختلاف واضح ما بين الازمة والصراع. فالأزمة تعني مجموعة من التفاعلات المتعاقبة بين حكومتين أو اكثر لدول ذات سيادة تعيش في حالة صراع ولكن بدرجة اقل من الحرب والمواجهة، فهي وصف لحالة تتميز بالتوتر الشديد والوصول الى مرحلة حرجة تنذر بالانفجار في العلاقات بين الدول، ومن ثم تشكل طورا متقدما من أطوار الصراع الذي يبدأ بالسجالات الكلامية ويتدرج في تصاعده حتى يصل في ذروته الى الاشتباكات العسكرية[٢]، وهو ما تم فعلا ما بين القيادة الروسية وما بين القيادة الاوكرانية وحلفائها. فالظروف المعقدة للصراع وتداخله مع الصراعات الاقليمية مع العالمية جعلت من تحطيم الارادات مستحيلاً[٣]، وخاصةً بعدما بدأت روسيا حربها مع اوكرانيا بحيث لمْ تستطع كسر الارادة الاوكرانية وذلك لتداخل الظروف الاقليمية والدولية وخاصةً من قبل كل من الولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الاوربي متمثلة بحلف الناتو.

٢- **الحرب تعريفها وانواعها:** تُعرّف الحرب لغة كما ورد في معجم المعاني الجامع أنّها قتال بين فئتين، وجمعها حُروب وعكسها سِلْم، وإذا قيل استعرت الحَرْب؛ أي أنّها أصبحت شديدة وقوية، أمّا إذا قيل وضعت الحرب أوزارها، فهذا يعني أنّ القتال انتهى، ومصطلح الحَرْبُ بينهم سجال يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة للطرف الآخر، ودارُ الحَرْبِ هي بِلاد الأعداء، ورجل الحَرْبْ هو صاحب الخبرة في إدارة

[١] محمود صافي: العلاقات التركية الإسرائيلية في الفترة من عام ١٩٩٦- ٢٠٠٦، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٨، ص. ج.

[٢] ايناس العنزي، الصراع الدولي في العقد الأول للهيمنة والقطبية الأحادية، العراق، مكتب الهاشمي للكتاب الجامعي، ٢٠١٦، ص٣٢.

[٣] المصدر السابق، ص٢٩.

وتسيير المعارك الحربيّة[١].والحرب في تعريف المنظِّرين السياسيين والعسكريين مظهر من مظاهر السياسة، أو هي كما يقول الفيلسوف والمنظر العسكري الألماني كارل فون كلاوزفيتز استمرار للسياسة بوسائل أخرى، وأنها «عمل عنيف يقصد منه إكراه الخصم على الخضوع لإرادتنا». فالحرب على هذا الأساس أداة من أدوات السياسة، الغاية منها حماية مصالح الجهة المحاربة أو توسيع دائرة نفوذها. والحرب من وجهة النظر الرأسمالية ظاهرة اجتماعية معقدة ومتعددة الجوانب تتطلب حشد الموارد المادية والمعنوية. و يتعارض هذا الرأي إلى حد ما مع المفهوم الماركسي اللينيني القائل إن الحرب نتاج صراع الطبقات[٢].

أما بالنسبة لأنواعها فقد اختلفت الحروب بحسب مواقيتها او الغاية اليها ومنها: الحروب وفقا للفاعليين الدوليين بحيث تنقسم الى:

أ- الحروب الدولية وتتضمن مجموعتين أما حروب بين دولتين او اكثر، أو بين دولة وكيان سياسي لا يعدو عظوا في النظام الدولي.

ب- الحروب الاهلية وهي الحروب التي حدثت وتحدث داخل الدولة الواحدة بسبب العرق والمذاهب المختلفة في تلك الدولة والتي تكون حصيلتها اعداد كبيرة من القتلى من جانب او من الجانبين المتحاربين وكذلك تشكل احدى هذه الفئات معارضة قوية للنظام السياسي داخل الدولة، ومن امثلتها الحرب الاهلية لبنان، و كذلك الحرب في رواندا خلال عقد التسعينات من القرن الماضي[٣].

ت- الحرب وفقا لأسبابها، ومنها الحروب القومية والتي تسعى من خلالها الشعوب للحصول على استقلالها من الدول الاستعمارية وخير مثال على ذلك حرب التحرير الجزائرية والتي راح ضحيتها ما يقارب المليون شهيد من الشعب الجزائري.

١ محمد ابو خليف، تعريف الحرب، على الرابط: https://mawdoo3.com
٢ الحرب، على الموقع الالكتروني، تم الدخول بتاريخ٢٠٢٢/١٢/٢٤:https://www.marefa.org
٣ احمد جمال الصياد، رواندا بين الحرب الأهلية والتحول الديمقراطي، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ النشر١٥/٤/٢٠٢١، على الرابط: https://democraticac.de

٣- الحروب الوقائية والاستباقية:

أ- الحرب الوقائية: وهي الحرب التي تعتبر الولايات المتحدة الامريكية أحد مرتكزاتها الدفاعية، إذ أن الاستراتيجية الامريكية تقوم على ذلك وخاصة عندما تعتبر امنها القومي في خطر وهو ما تم فعليا في معظم الحروب التي شنتها ضد دول واحتلالها.

ب- الحرب الاستباقية: ترى الولايات المتحدة ومن يساندها من الدول أن من حقها شن تلك الحرب بدافع شرعي وهو القضاء على العدو قبل أن يتمكن من يوجه ضرباته في الداخل الامريكي او لاحد مصالحها المنتشرة في ارجاء العالم، بحيث اعتمدت على تلك النظرية في حربها واحتلالها لكل من افغانستان والعراق[١].

ثانيا: الحرب الروسية – الاوكرانية

بداية التوتر بين الدولتين والتي ادت الى قيام روسيا بشن الحرب ومحاولة السيطرة الكاملة على جزيرة القرم، واعادة ما كان تحت مظلة الاتحاد السوفيتي السابق، حتى وان دخلت روسيا تلك الحروب تحت حجج لا يمكن للمجتمع الدولي أن يسمح بالسيطرة من جديد على تلك الدول وخاصة كل من الولايات المتحدة واوروبا متمثلة بحلف الناتو او الدول التي تريد الانضمام الى الاتحاد الاوربي، لذا ولمعرفة تلك الاسباب وشن روسيا الحرب سيتم دراسة هذه الفقرة من الدراسة من حيث:-

أ- **روسيا وتقسيم اوكرانيا:**

شنت القوات الروسية هجوما واسعا ومباغتا في ٢٢/شباط/فبراير من العام٢٠٢٢ أي ما يقارب العام ونصف على الاراضي الاوكرانية وهو ما كان مقدرا أن يحصل بعد اعتراف موسكو بكل من دونيتسك ولوغانست وهما الجمهوريتان المنفصلتان عن أوكرانيا بدعم روسي، ومحاولة تقسيم جغرافية اوكرانيا الى قسمين احدهما تابع لروسيا بالكامل وخاصة مع وجود اكثرية روسية هناك.

١ محمد سعادي، بين الحرب الوقائية والحرب الاستباقية في القانون الدولي العام، على الرابط:
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/325/1/1/45310

والوقوف امام التمدد الذي سيحصل اذا ما انضمت اوكرانيا لحلف الناتو، والذي تعتبره موسكو تهديدا حقيقيا لوجودها كون وجود هذا الحلف على هذه المقربة والتي لا يمكن لأي قوات تسطيع الوقوف او الحماية من الصواريخ والتي لا تزيد مدتها عن اربع دقائق للوصول الى اهدافها في اقرب تقدير [١].

ب_ **السيطرة على اوكرانيا وابعاد حلف الناتو عن روسيا:**

التقارب الاوكراني مع دول حلف الناتو والاتحاد الاوروبي هو احد الاسباب المهمة التي جعلت روسيا تخوض هذه الحرب، وذلك اذا ما وصل حلف الناتو ليجاور روسيا من جهة اوكرانيا وهو ما يعني انتهاء اخر خط دفاعي لروسيا عن حدودها الغربية، علماً أن الهدف من تأسيس حلف الناتو هو المواجهة لأي توسع للاتحاد السوفيتي السابق أو ثورات شيوعية، فضلا عن أن التحالف سعى لإقامة جبهة قوية في الداخل وتحقيق العيش الرغيد للدول الأعضاء في التحالف، وذلك بالإضافة إلى إقامة رابطة الدفاع الجماعية من اجل الحفاظ على الأمان والسلم في المنطقة، وهو ما دعا اوكرانيا للتقرب اليه ومحاولة الانضمام للحلف هي وبعض دول الاتحاد السوفيتي السابق. وهو ما كانت تعتبره روسيا تهديداً حقيقيا لها. وهو ما يثبت الواقعية التي تحدث معظم منظريها عن ان المصلحة الوطنية هي قبل كل شيء لمعظم الدول وخاصة الدول العظمى او الكبرى إذ لا يمكن لتلك الدول أن تتنازل عن مصلحتها القومية او الوطنية حتى لو خاضت حروب قد تستمر لسنوات ومهما كانت الخسائر البشرية والمادية.

علماً أن حلف الناتو يسعى بقيادة الولايات المتحدة إلى توسيع حدوده نحو روسيا وأن تكون جورجيا وأوكرانيا التي تمثل الحدود الجنوبية لروسيا ضمن منظومته فتلتصق بشكل مباشر مع حدود قوات حلف الناتو، وحيث كانت قوات الناتو خارج حدود شرق أوروبا، الأمر الذى يعني إمكانية تطويق وعزل روسيا وتقصير مدة الإنذار لقوات روسيا لقصر المسافة بين قوات الناتو والقوات الروسية. لذا فإن روسيا تعارض انضمام كل من بولندا والمجر وتشيكيا للناتو لأنها تعتبرها خط الدفاع الأول لها عن حدودها والعمق الاستراتيجي للإنذار عن أي تهديد من حلف الناتو في أي عملية عسكرية يشنها الحلف ضدها، حيث أن روسيا سوف تفقد هذه الميزة نتيجة توسيع الحلف نحوها، وخاصة إذا ما تم نشر قوات وأسلحة الحلف في بولندا وجورجيا وأوكرانيا بما يهدد المصالح الأمنية الحيوية لروسيا خاصة بعد تغير الوضع الجيوستراتيجي في أوروبا بعد انسحاب القوات الروسية من شرقها. الأمر الذي يجعل الجانب الأوربي من روسيا في مرمى أسلحة الحلف التكتيكية وليس الاستراتيجية فقط، حيث أن ذلك يدفع روسيا إلى صرف المزيد من الإنفاق العسكري لإدامة ارتفاع وتحفيز الاستعداد الدائم للقوات الروسية نتيجة هذا القرب ويرهق كاهل ميزانية الدفاع الروسية، ولذلك كانت روسيا دائما ترى في طموحات الولايات المتحدة والناتو أن الاقتراب من حدودها تمشى في إطار فكرة

١ حسن ابو طالب، روسيا وتقسيم أوكرانيا، خطوة لتصحيح الاخطاء، (الحرب الروسية الأوكرانية-ومستقبل النظام الدولي)، سلسلة ملفات تصدر عن مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، يونيو ٢٠٢٢، ص١٤.

جيوسياسية قديمة ترجع إلى فكرة تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين التي نصت على إبعاد روسيا إلى أعماق أوراسيا في شمال القارة وإضعاف ما يعرف بأهمية موقعها الوسطي من خلال السيطرة عليها من الجنوب الشرقي لها[١].

الخاتمة: بعد دراسة الموضوع من جميع جوانبه تبين أن ما اقدمت عليه روسيا بشنها الحرب على اوكرانيا ليس وليد اللحظة او الفترة القريبة، وذلك لوجود التفكير لدى الفاعل الروسي بأن اوكرانيا جزء لا يتجزأ من الاتحاد الروسي الحالي، ودولة من دول الاتحاد السوفيتي السابق والذي لا يمكن التنازل عنها وربطها بحلف الناتو والانضمام الى الاتحاد الاوروبي. بحيث نجد هنا القيادة الروسية قد توجهت الى هذه الخطوة والتي لم يقدر احد انها قد تطول لأكثر من اسبوع حسب المعتقد الروسي، ولكن وفق المعطيات والاحداث الواقعية وتدخل غربي وامريكي واضح لدعم كييف في حربها مع موسكو نجد أن الحرب قد مر أكثر من سنة ولم تستطع القوات الروسية دخول كييف. لذا فأن روسيا لن توقف الحرب الا اذا استطاعت عسكريا او سياسيا الحصول على مؤشرات حقيقية لعدم انضمام اوكرانيا إلى حلف الناتو والاتحاد الاوربي، لأنها تعتبرها الحديقة الخلفية لها والبوابة التي تستطيع من خلالها الوصول الى البحر الاسود وكذلك الى اوروبا الشرقية كما انها تعتبر بعض مناطق اوكرانيا امتداد طبيعي للجزء الغربي من روسيا. كما أنه يمر عبر الاراضي الاوكرانية ما يقارب من ٨٥% من الغاز الروسي. لذا فأن روسيا تعتبر هذه الحرب بمثابة حق لا يمكن التنازل عنه ولذلك لحماية الجالية الروسية، والقضية الاوكرانية ذات بعد قومي وجيو سياسي يحتم عليها خوض تلك للحفاظ عليه. وفق منظور المصلحة القومية والواقعية الحقيقية للدفاع عن مرتكزات روسية لا يمكن التنازل عنها مهما كلفت تلك الحرب. لذا نجد إنه مع دخول روسيا بالمواجهة العسكرية مع أوكرانيا، وشن الحرب عليها، والتي لم تستطع حسمها في الفترة التي كان مقرر وحسب التصور الروسي لها. وبالرغم من كل ما حققته من تقدم عسكري فيها، إلا أنه قد جعلت لذلك تداعيات تلك المواجهة على الداخل الروسي تبقى لها الأثر الكبير، فالاقتصاد الروسي يعتمد اعتمادًا أساسيًا على تصدير النفط والغاز وبعض السلع الغذائية وخاصة القمح والذرة، والتي تعتبر اوروبا احد الاسواق المهمة لديها، وإنَّ فرض عقوبات اقتصادية على روسيا، وتقليل الاعتماد على الطاقة منها، والبحث عن بدائل، سيكون له تداعيات على اقتصادها مستقبلا، كذلك مهما امتلكت روسيا من ترسانة عسكرية متطورة بشكل فعال، لكن لا يعفيها من عواقب استنزافها مع طول مدة الحرب، فتلك الحرب تعتبر حرب استنزاف لقدرات كلا الدولتين وخاصة أن اوكرانيا لا يمكنها المواجهة الفعلية في الحرب لذا نجدها تجر روسيا الى حرب مدن قد تخسر روسيا فيها الكثير، وخاصة مع استخدام الاسلحة المتطورة ومنها حرب الطائرات المسيرة (الدراون) والتي تعد تكلفتها اقل بكثير من الاسلحة التكتيكية الاخرى.

المصادر:

اولا: الكتب العربية والمترجمة

١ الدار العربية للدراسات والنشر، روسيا وحلف شمال الأطلسي. نشرة تقديرات استراتيجية. العدد ١٦ القاهرة ١٩٩٥ ص ٣٢.

- إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى، دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢، ٢٠٠٩.
- احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، المملكة الاردنية الهاشمية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
- انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، العراق، السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٧،
- ايناس العنزي، الصراع الدولي في العقد الأول للهيمنة والقطبية الأحادية، العراق، مكتب الهاشمي للكتاب الجامعي، ٢٠١٦.
- جاك دونللي، مجموعة مؤلفين، نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد الصفار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤.
- جهاد عودة، النظام الدولي.. نظريات وإشكاليات، القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٠.
- جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.
- جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، الكويت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٨٥.
- مبروك غضبان، المدخل للعلاقات الدولية، الجزائر، بأتنه، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية،٢٠١١.
- ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥.
- ناظم الجاسور، موسوعة علم السياسة، عمان: مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

ثانيا: المجلات

- اكزافييه غيوم، العلاقات الدولية، ترجمة : قاسم المقداد، مجلة الفكر السياسي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب العدد ١١- ١٢ مزدوج، دمشق سنة ٢٠٠٣. نقلاً عن الموقع الإلكتروني: http://www.awu-dam.org/politic/11-12/fkr11-12-004.html.
- حسن ابو طالب، روسيا وتقسيم أوكرانيا، خطوة لتصحيح الاخطاء، (الحرب الروسية الأوكرانية-ومستقبل النظام الدولي)، سلسلة ملفات تصدر عن مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، يونيو ٢٠٢٢.
- صدام مرير حمد، أثر انهيار الاتحاد السوفيتي على المجتمع الدولي، جامعة كركوك، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد١، العدد٣، ٢٠١٢.
- عبد الخالق شامل محمد، رينما اسماعيل احمد، النظرية الواقعية البنيوية في العلاقات الدولية، جامعة تكريت، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ٢٠٢٢،
- هاينز كارمر، تركيا كقوة إقليمية جديدة: دراسة للمفهوم السياسي الاستراتيجي، شؤون الأوسط، العدد ٥٥، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٦.

- الدار العربية للدراسات والنشر، روسيا وحلف شمال الأطلسي. نشرة تقديرات استراتيجية. العدد ١٦ القاهرة ١٩٩٥.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

- محمد بن عبد الوهاب محمد علي نقلي، "التنافس الأمريكي – الأوربي على المنطقة العربية خلال الفترة من ١٩٤٥- ٢٠٠٠"، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٧.

- محمود صافي: العلاقات التركية الإسرائيلية في الفترة من عام ١٩٩٦- ٢٠٠٦، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٨.

رابعا: المواقع الالكترونية:

- محمد ابو خليف، تعريف الحرب، على الرابط: https://mawdoo3.com

- احمد جمال الصياد، رواندا بين الحرب الأهلية والتحول الديمقراطي، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ النشر١٥/٤/٢٠٢١، على الرابط: https://democraticac.de

- محمد سعادي، بين الحرب الوقائية والحرب الاستباقية في القانون الدولي العام، على الرابط:

https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/325/1/1/45310

- الحرب، على الموقع الالكتروني، تم الدخول بتاريخ٢٤/١٢/٢٠٢٢:

https://www.marefa.org

خامسا: المصادر الاجنبية:

- James N. Rosenau، " international politics and foreign policy''، the free press، New – York، 1969، p 294.

- John – Mearsheimer.، " Realism. The Real World And Academia". University of Chicago، 2000. P10